

تطور مفهوم لفظة تاريخ عند العرب *

لم يبحث لغويو العرب أصل كلمة (تاريخ) من الناحية اللغوية، ويكاد يكون كل ما قيل في شرح لفظة (تاريخ) في المعاجم و كتب اللغة يدور حول معناها بمعنى التوقيت أو التقويم، وقد اختلف في أصل هذا المدلول فقيل أن التاريخ عربي وهو معنى التأخير، أو مقلوب من التأخير. وقيل أن التاريخ مشتق من الإرخ (بالفتح و الكسر) وهو الأثنى من ولد بقر الوجش ولأنه يحدث كما يحدث الولد. وقيل أن التاريخ عربي لأن تميم أستعملت لفظة (ورخ) و مشتقاتها و قيس أستعملت (أرخ) و مشتقاتها.

و قيل أن التاريخ (المعني و التوقيت و ليس الكلمة) ليس بعربي فإن المسلمين أخذوه من أهل الكتاب. و قيل أن التاريخ معرّب عن (ماه روز) الفارسية التي تعني حساب الأيام و الشهور فعرّبهُ المسلمون فقالوا مؤرخ و جعلوا مصدره التاريخ.

و حيث أن ما وصلنا من اللغة العربية مكتوباً يمثل فترة بلغت فيها اللغة العربية تمام نضوجها و أتخذت مفرداتها أشكالاً ثابتة، فهذا يجعلنا في صعوبة عند بحثنا عند أصول الكلمات العربية.

و بما أن اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية فلا بأس من البحث عن أصل كلمة (تاريخ) فيما وصلنا من الكتابات السامية القديمة.

لقد وصلتنا نقوش سامية فيها ما يمكن أن يكون أصلاً لكلمة تاريخ العربية. و قد تفاوتت هذه النقوش في زمن كتابتها و اختلفت الأمم التي أستعملاتها. فأقدم هذه النقوش نقش كتب بالحرف الفينيقي يعود تأريخه إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد و نصه: (بيرح بل بشنت عسر واربع لملكي ملك أشمنعزر ملك صدم) و تفسيره يوم 6 بشهر بل سنة 14 لملك الملك أشمنعزر ملك صيدا. و هناك نقش فينيقي آخر فيه تحديد اليوم و الشهر و نصه: (بيوم "6" ليرح بشنت "21") و تفسيره بيوم 6 لشهر بل سنة 21. و توجد نقوش فينيقية أخرى غير أن ما فيها لا يزيد عما في النقوش السابقين.

نأتي بعد ذلك إلى النقوش الآرامية فنكتطف منها ما يعتبر مثلاً. جاء في نقش (بسبتموس إدينت) و نصه: (قرطسطا أتييم لمرهون بيرح أب دي شنت 582) و تفسيره القائدان اللذان أقاماه لسيدهما في شهر آب سنة 852. و هناك نقوش أخرى غير هذا تستعمل كلمة يرح و بنفس الطريقة. و يوجد نقش كتب بالحرف النبطي هذا نصه: (بيرح تشري شنت شعب لقلديس ميصر) و تفسيره بشهر تشرين سنة سبع لقلديس مصر.

و في نقوش جنوب الجزيرة العربية وردت كلمة (ورخ) التي تعني قمر كما تعني شهر. و هذا نص النقش: (بورخن ذي قيض ذ بنحرفن ذ لشتت وتشعى وثلث ماتم بن خرف مبخص بن ربحص) و تفسيره في شهر ذي قيض 393 سنة بعد مبخص بن ربحص. و في نقش آخر هذا نصه (يوزع ذ خرف ذ لثلث و سبعي و خمس ماتم حيو) و تفسيره في شهر ذي خرف 573 سنة لحيو.

و إذا علمنا إن لفظة (يرج) بالعبرية و (أرخو) في البابلية و (أرحا) في الأرامية و (ورخ) في لغة حمير وسبأ كلها تدل على مدلول واحد و هو القمر. و إذا علمنا أيضاً أن التقويم السامي تقويم قمري، يمكننا بسهولة أن نتبين الصلة بين دلالة الكلمة على القمر ثم على الشهر. و هذا ينسجم مع فكرة التصعيد في تطوّر اللغة، أي أن الألفاظ كانت تدل على مدلولات حسية أولاً ثم أصبح لها مدلولات معنوية فيما بعد.

* بحث أعده المؤلف أثناء دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت، لم ينشر

